مجله	نشریه دانشکده الهیات ومعارف اسلامی مشهد
تاریخ نشر	~~۱۳۵۴~~ ۱۳۵۱
شماره	۴
شماره مسلسل	
محلّ نشر	مشهد
زبان	عربی
نویسنده	یوسف حسین نجار
تعداد صفحات	صفحات ۲۶۳ — ۲۶۷
موضوع	اثر القرآن فی شعر حسان بن ثابت
سرفصلها	
کیفیّت	
ملاحظات	

يوسف حسين بكّار

أثر القرآن في شعر حسّان بن ثابت

قُدِّر لحسان بن ثابت ان يشهد في جاهليته الأيام التي كانت بين قبيلته الخزرج وقبيلة الأوس، وقُدِّر له ايضا ان يتصل ببلاط الفساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق. فما ان ظهر الإسلام، و هاجر الرسول (ص) الى المدينة اسلمت الاوس والخزرج فاسلم حسّان وصار في جملة الانصار . لئن كان حسان لسان قبيلته في الجاهلية ، وعرفه بلاط الفساسنة مادحاً وبلاط المناذرة متوددا، فان هذا كله لم يقم حائلاً في ان يصبح شاعر الرسول الأول، يدافع عنه وعن دعوته بشعره مع نفر من زملائه[1]. لقد دافع حسّان بشعره عن الدين، ووقف في وجه اعدائه وخصومه من كفار قريش وقفة شهد له الرسول الاكرم بها حين قال عن شعر حسّان في الكفار انه «اشد عليهم من نضح النبل في غلس الظلام» .

شعر حسان كحياته، جاهلي واسلامي. الجاهلي لايكاد يختلف عن نمط الشعر الجاهلي المعروف ، امّا الإسلامي فيتسم بسمات جديدة، من اهمها تاثر حسّان بالدين الاسلامي والقرآن الكريم في الفاظه ومعانيه . قال[2] :

١ـ انظر : مقالنا «كعب بن مالك الانصاري واثر القرآن في شعره» مجلة العرفان. العدد الاول. المجلد ٥٩ . ايار ١٩٧١ م. ص١٤ـ٢٥ .

٢ـ ديوان حسّان بن ثابت. ص١٢ (باهتمام عبد الرحمن البرقوقي). مما يجدر ذكره ان الدكتور محمد طاهر درويش الذي التفت الى شيء من تاثر حسان بالقرآن في هذه الابيات، سجل عليه فيها مأخذ فقال «... ولكن الاحسان لابواتيه، ففي قوله «سيد الارباب» مالايرتاح اليه الذوق، ولا يتفق وروح الاسلام،

وغَدَوا علينا قادرين بأيدهم ... وردّوا بغيظهم على الاعقاب[3]
بهبوب معصفةٍ تفرق جمعهم ... و جنود ربك سيّد الأرباب[4]
و كفى الإله المؤمنين قتالهم ... و اثابهم في الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرّج عنهم ... تنزيل نص مليكنا الوهاب
و اقرّ عين محمدٍ و صحابه ... و اذلّ كل مكذبٍ مرتاب
عاق الشقاء بقلبه فارانه ... في الكفر آخر هذه الاحقاب[5]

ان تاثر الشاعر بالقرآن في هذه الابيات واضح بيّن. يقول تعالى «وغَدَوا على حرد قادرين» (القلم ٢٥) ، ويقول «وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً» (الاحزاب ٢٥). اما «جنود ربك» في البيت الثاني فأراد بهم الشاعر الملائكة ، يقول تعالى «يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيرا» (الاحزاب٩). واما البيت الرابع ففيه قبس من الآية الكريمة «وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته، وهو الولي الحميد» (الشورى ٢٨) ، كما ان في قول الشاعر (عاق الشقاء بقلبه فارانه) قبساً من الآية الكريمة :«كلّا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» (المطففين ١٤) .

وقال حسان في هجاء ابي سفيان[6] :

وانت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد[7]

ففي هذا اشارة الى قوله تعالى «مناعٍ للخير معتدٍ اثيم، عتلٍّ بعد ذلك زنيم» (القلم ١٢ و١٣) .

ولايناسب قدر الله تعالى، وقوله «تنزيل نص مليكنا الوهاب» نظم لاقوام به، ولاجميل معنى، وليس في العبارتين الاتاق او ضعف، وليس لهما من ميزة الا اقامة الوزن وتسوية القافية...»
(حسّان بن ثابت. ص١٥) دار المعارف بمصر . دون تاريخ) .

٣ـ ايدهم: قوتهم . ٤ـ المعصفة: الريح الشديدة .
٥ـ ارانه: غطّى على قلبه . ٦ـ الديوان ١٦٠ .
٧ـ تاثر الشاعر في المصراع الثاني من البيت بالحديث الشريف «لاتجلوني كقدح الراكب» اي لا تؤخروني في الذكر. (انظر: حاشية ص١٦١ من ديوان حسّان) .

کتابخانه
دانشکده الهیات ومعارف اسلامی مشهد

وقال حسان فی بنی سُلَیم حین قدمهم الرسول (ص) یوم فتح مکه[8]:

علام تُدعی سلیم و هی نازحة[9] امام قوم هُمُ آووا وهم نصروا
سمّاهم الله انصارالنصرهم دین الهدی وعوان الحرب تشتعل
وجاهدوا فی سبیل الله واعترفوا[10] للنائبات، فما خاموا وما ضجروا

فی هذه الأبیات اثر من قوله تعالی «ان الذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فی سبیل الله، والذین آووا ونصروا اولئك بعضهم اولیاء بعض...» (الأنفال ٧٢)، ومن قوله «والذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا فی سبیل الله والذین آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا، لهم مغفرة ورزق کریم» (الانفال ٧٤).

وقال حسان فی القصیدة السابقة نفسها:

وکم رددنا ببدر، دون ما طلبوا اهل النفاق، وفینا انزل الظفر

ففی قوله «وفینا انزل الظفر» اشارة الی قوله تعالی» ولقد نصرکم الله ببدر وانتم اذلّة، فاتقوا الله لعلکم تشکرون» (آل عمران ١٢٣).

وقال حسان من ابیات اخری فی رسول الله (ص)[11]:

امیر علینا، رسول المل‍ـ‍ـ‍ـیـ‍ـ‍ـ‍ـك احبب بذاك الینا امیرا
رسول نصدّق ما جاءه من الوحی، کان سراجا منیرا

فی هذین البیتین اثر الآیة الکریمة «یاایها النبی انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذیرا وداعیا الی الله باذنه وسراجا منیرا» (الإحزاب ٤٥ـ٤٦).

اما قول حسان فی هجاء الحارث بن کعب المجاشعی ورهطه[12]:

کانکم خشب جوف اسافله مثقّب فیه ارواح الاعاصیر

ففیه قبس من الآیة الکریمة «واذا رایتهم تعجبك اجسامهم وان یقولوا تستمع لقولهم کانهم خشب مسنّدة...» (المنافقون ٤).

٨ـ الدیوان ١٩٩.

٩ـ نازحة: ای ان قبیلة سلیم لیست من رسول الله کالانصار، بل هی بعیدة نازحة.

١٠ـ اعترفوا للنائبات: صبروا لها، فما خاموا ولم یجبنوا.

١١ـ الدیوان ٢١٣. ١٢ـ الدیوان ٢١٥.

وقال فی مدح الرسول[13]:

اکرم بقوم رسول الله شیعتهم اذا تفرقت الاهواء والشیع

اما سبحانه وتعالی فیقول «ان الذین فرّقوا دینهم وکانوا شیعا لست منهم فی شیء...» (الانعام ١٥٩).

وقال حسّان فی یوم بدر[14]:

و ذلك یا خیر العباد بلاؤنا ومشهدنا فی الله والموت ناقع[15]
لنا القدم الاولی الیك، وخلفنا لاولنا فی طاعة الله تابع
و نعلم ان الملك لله وحده وان قضاء الله لا بدّ واقع

الاثر القرآنی فی هذه الأبیات واضح، خاصّة فی قول الشاعر (ونعلم ان الملك لله وحده). ففی القرآن الکریم آیات کثیرة بهذا المعنی من مثل قوله تعالی «وقل الحمد لله الذی لم یتخذ ولدا ولم یکن له شریك فی الملك...» (الإسراء ١١١)، و قوله «ولله ملك السموات والأرض...» (النور ٤٢)، وقوله «الملك یومئذ للحق الرحمن...» (الفرقان ٢٦). اما قول حسّان (وان قضاء الله لابدّ واقع) ففیه اثر من قوله تعالی «انما توعدون لواقع» (المرسلات ٧)، ومن قوله «ان عذاب ربك لواقع» (الطور ٧).

وقال حسّان فی یوم احد[16]:

وحامی بنوا النجار فیه وضاربوا وما کان منهم، فی اللقاء جزوع
امام رسول الله لا یخذلونه لم ناصر من ربهم و شفیع

فی البیت الأخیر یتضح اثر قوله تعالی «... لیس لهم من دونه ولی ولا شفیع، لعلهم یتقون» (الانعام ٥١)، وقوله «... ان تُبل نفس بما کسبت لیس لها من دون الله ولی ولا شفیع...» (الأنعام ٧٠).

اما قول حسان فی رثاء خُبیب بن عدی الأنصاری[17]:

فاذهب خُبیبٌ جزاك الله طیبة وجنّة الخلد عند الحور فی الرّفق[18]

١٣ـ الدیوان ٢٥٤.

١٤ـ الدیوان ٢٥٤.

١٥ـ ناقع: بالغ، قاتل.

١٦ـ الدیوان ٢٥٨.

١٧ـ الدیوان ٢٩٠.

١٨ـ الرفق: جماعة المرافقین، واراد رفاقة الصالحین.

ماذا تقولون ان قال النبی لکم حین الملائکة الأبرار فی الأفق[١٩]

ففیه اشارة الی قوله تعالی «والملك علی ارجائها ویحمل عرش ربك فوقهم یومئذ ثمانیة» (الحاقه ١٧).

کما ان فی قوله فی الحارث بن سوید بن الصامت الأنصاری[٢٠].

یا حار فی سنة من نوم اولکم ام کنت ویحك مفتکراً بجبریل[٢١]

اثراً من الآیة الکریمة «لا اله الا هو الحی القیوم، لاتاخذه سنة ولا نوم...» (البقره ٢٥٥).

ومن اقوال حسّان المتاثرة بالقرآن[٢٢]:

فلمّا اتانا رسول المليـ ـك بالنور والحق بعد الظلم

رکنّا الیه و لم نعصیه غداة اتانا من ارض الحرم

وقلنا: صدقت رسول المليك هلمّ الینا و فینا اقم

فنشهد انك عند المليـ ـك ارسلت حقّا بدین قیّم[٢٣]

هذه الأبیات متاثرة الی حد بعید بآیات کثیرة من القرآن الکریم، من مثل قوله تعالی «... وشهدوا ان الرسول حق» (آل عمران ٨٦)، وقوله «یاایها الناس قد جاءکم الرسول بالحق...» (النساء ١٦٩)، وقوله «فتوکل علی الله، انك علی الحق المبین» (النمل ٧٩)، وقوله «هو الذی ارسل رسوله بالهدی و دین الحق لیظهره علی الدین کله، وکفی بالله شهیدا» (الفتح ٢٨).

وقال حسان فی مدح الرسول (ص)، وهجاء ابی سفیان قبیل فتح مکه[٢٤]:

فاما تعرضوا عنّا اعتمرنا وکان الفتح، وانکشف الغطاء

و الا، فاصبروا لجلاد یوم یعزّ الله فیه من یشاء

١٩ـ یرید بقوله «حین الملائکة الابرار فی الافق» یوم القیامة.

٢٠ـ الدیوان ٢٨١ ویقال ان الحارث کان مسلما، فلما ارتد لحق بالکفار.

٢١ـ اراد بقوله «مفتکراً بجبریل»، ای ظننت ان القرآن لا ینزل فیك.

٢٢ـ الدیوان ٢٧٥.

٢٣ـ القیم: المستقیم. ٢٤ـ الدیوان ٥.

و جبریل رسول الله فینا و روح القدس لیس له کفاء[٢٥]

یشیر الشاعر فی هذه الأبیات الی ذهاب الرسول الاکرم هو وعدد من المسلمین عام ٦ هـ لأداء العمره، تحقیقاً لما رآه فی نومه انه یدخل مکّة مع صحبه لأداء العمرة، وکان ذلك مقدمة لفتح مکة مصداقاً لما وعدالله رسوله والمسلمین. فضلاً عن هذا، فان فی الابیات اثراً من قوله تعالی «واخری تحبونها، نصر من الله وفتح قریب، و بشر المؤمنین» (الصف ١٣)، وقوله «لقد کنت فی غفلة من هذا، فکشفنا عنك غطاءك...» (ق ٢٢)، وقوله «... تعز من تشاء وتذل من تشاء...» (آل عمران ٢٦)

هذه امثلة من اثر القرآن الکریم فی شعر حسان، وثمة غیرها، لا اری داعیاً لذکرها بعد ان کشف عنها الدکتور محمد طاهر درویش[٢٦]. ولعل هذه النماذج التی ذکرتها ان تاتی مکملة لما بداه الدکتور درویش، وهی جمیعها کافیة للتدلیل علی اثر القرآن الکبیر فی شعر شاعر الإسلام الأول الذی قال له الرسول الاکرم حین اراد ان یهجو القرشیین: «وکیف تصنع بی؟»، فقال: «اسلك کما تسل الشعرة من العجین».

٢٥ـ کفاء: نظیر. ٢٦ـ راجع کتابه: حسان بن ثابت ٤٨٨-٤٩٤.